

حضور الشعر الشعبي في الرواية الجزائرية المعاصرة-رواية حوبه ورحلة البحث عن المهدي المنتظر لعز الدين جلاوي أنموذجا-

The presence of folk poetry in the contemporary Algerian novel: "Hoba and the Journey to Find Almahdi Almontadhar " by Azzedine Djelouji as a model.

*- أ.د عدلان رويدي

*- مخبر اللغة وتحليل اللغات

*- جامعة محمد الصديق بن يحيى- جيجل

* roudiadlene@yahoo.fr

تاريخ القبول: 2025/11/02

تاريخ الإرسال: 2025/10/01

الملخص:

يعدّ الشعر الشعبي الجزائري من أهم الثروات الثقافية في الجزائر، نظرا للدور المحوري الذي يلعبه في الحفاظ على تراث المجتمع والأمة الجزائرية والأدب بفنونه المختلفة، وقد عالج هذا الشعر العديد من القضايا، ومنحها أهمية قصوى من أجل إبراز واقع المجتمع في ظل الأوضاع السياسية والاجتماعية التي تعيشها الجزائر. والروائي الجزائري على وجه التحديد استحضّر الشعر الشعبي بكثير من العمق والتحليل، وتأتي هذه المداخلة لتحاول إلقاء الضوء على حضور الشعر الشعبي في الرواية الجزائرية المعاصرة وفي رواية حوبه ورحلة البحث عن المهدي المنتظر لعز الدين جلاوي كنموذج تطبيقي.

الكلمات المفتاحية: الشعر الشعبي، الفنون، الرواية، الجزائر، عز الدين جلاوي.

Abstract:

Algerian folk poetry is considered one of Algeria's most important cultural treasures, given its pivotal role in preserving the heritage of Algerian society and the nation. This poetry, in its various forms, has addressed numerous issues, giving them paramount importance in order to highlight the realities of society within the context of Algeria's political and social conditions. Algerian novelists, in particular, have engaged with folk poetry with considerable depth and analysis. This paper aims to shed light on the presence of folk poetry in contemporary Algerian novels, using Azzedine Djelloudji's novel "Hoba and the Journey to Find Almahdi Almontadhar " as a case study.

Keywords: Folk poetry, arts, novel, Algeria, Azzedine Djelloudji.

مدخل:

شهدت الرواية الجزائرية منذ ولادتها حتى الوقت الراهن العديد من التحوّلات والتطورات على مستوى الأشكال والمضامين، وهذا بحكم معطيات وظروف تاريخية وسياسية واجتماعية وثقافية متعددة مرّت بها الجزائر خلال فترات عديدة، بداية من فترة الاستعمار الفرنسي التي تعد الفترة الأهم والحدث الأبرز الذي وجّه مسار الرواية الجزائرية، وحدد مضامينها المحورية، و وجّه عقول المثقفين الجزائريين والكتاب على وجه الخصوص، الذين سخرُوا أقلامهم في الدفاع عن القضية الجزائرية وهموم الشعب الجزائري ورغبته في الاستقلال، عبر بوابة السرد، الذي يصور هذا الواقع المرّ الذي يعيشه الشعب الجزائري، فكانت بذلك باعثاً أساسياً في انطلاق الأقلام الجزائرية في الكتابة ومن بينها الكتابة الروائية، التي شهدت في البداية هذا النمط من الكتابة، لتواصل رحلتها بعد ذلك في محاولة قراءة وفهم الواقع والتأريخ للأحداث التاريخية المهمة في مسار الجزائر، وفي هذا الصدد برزت العديد من التحوّلات المختلفة المتعلقة بالرواية الجزائرية المعاصرة، خصوصاً على مستوى الأشكال، أين تداخلت العديد من الأجناس مع بعضها البعض داخل هذا النص، الذي صار يستوعب مختلف تلك الأجناس، ومن بينها الشعر الشعبي. الذي فرض وجوده ضمن الخطابات الروائية الجزائرية.

فالمبدع الجزائري كان يعي هذا التحوّل والتطوّر في أشكال التعبير، فقام باستثمار هذا النمط من الشعر داخل متونه الروائية، محاولة منه لإحياء هذا الجنس الأدبي وبعثه من جديد، حيث يتمّ إدماجه ضمن منظومة السرد في شكل متفاعلات نصية تعين الكاتب على توصيل أفكاره وطرحها وفق رؤية فنية وقالب جمالي متميّز يكسب هذا النص فريدة خاصة في التعبير ويمنحه صورة حديثة في الكتابة.

ومن بين الكتاب الذين اشتغلوا على هذا النمط من الشعر في نصوصهم نجد عز الدين جلاوي الذي عمل على استحضار الشعر الشعبي ولكن بشيء من الوعي الفني والجمالي، وتأتي هذه المداخل، لتحاول إلقاء الضوء على حضور الشعر الشعبي في الرواية الجزائرية المعاصرة وفي رواية حوبه ورحلة البحث عن المهدي المنتظر لعز الدين جلاوي كنموذج تطبيقي. والإشكالية التي يمكن طرحها هنا هي:

كيف استحضر هذا الكاتب هذا النمط من الشعر ضمن متنه الروائي؟ وما دواعي ذلك؟

وضمن هذه الإشكالية تنبعث العديد من الأسئلة منها:

- ماهي الطرائق الفنية التي اعتمدها المبدع في استحضار الشعر الشعبي في هذه الرواية؟
كيف تحضر هذه النصوص ضمن هذا الخطاب؟ وما هو الدور الفني والجمالي الذي تؤديه
هذه النصوص ضمن النص الروائي؟ وكيف أسهمت في بناء الفضاء الدلالي لهذا النص؟
كل هذه الأسئلة تحاول هذه المداخلة الإجابة عنها من خلال المنهجية الآتية:
- 1-نشأة الرواية في الجزائر.

2- الرواية الجزائرية المعاصرة وتداخل الأجناس الأدبية.

3--توظيف الشعر الشعبي في الرواية الجزائرية المعاصرة.

4- رواية "حوبه ورحلة البحث عن المهدي المنتظر" وتوظيف الشعر الشعبي.

1-نشأة الرواية في الجزائر:

تشكلت الرواية الجزائرية في ظروف خاصة، ومتغيرات اجتماعية وسياسية وفكرية عرفت الجزائر، ورغم تأخر ظهورها والولادة العسيرة التي شهدتها هذا الجنس الأدبي، إلا أنها انطلقت بسرعة واستطاعت في فترة وجيزة أن تنافس الرواية العربية في البقاع العربية المختلفة، وهي أكيد لم تنشأ من فراغ، ولم تكتمل دفعة واحدة، وإنما مرت بمراحل مختلف وقطعت أشواطاً عديدة لتصل إلى هذا الشكل المتعارف عليه الآن، متأثرة بالرواية الأوروبية (الواقعية) من جهة والرواية العربية من جهة أخرى، ويرى مجموعة من الدارسين والباحثين أنّ نشأة الرواية في الجزائر أقدم بكثير عن نظيراتها في أوروبا والبيئة العربية، وهي تعود إلى ما قبل الميلاد مع لوكيوس أبوليوس وروايته "الحمار الذهبي" أو "الجحش الذهبي"، هذه الشخصية الهجينة التي تمثل خليطاً من الثقافات والهويات، «وهوية أبوليوس جزائرية المولد، وإفريقية المنبت، وأمازيغية الأصل، ولكنها رومانية الجنسية، وإفريقية الثقافة والفكر، وشرقية المعتقد(...)» والإشارة إلى أنّ رواية الحمار الذهبي هي أول عمل روائي في التاريخ ليس ضرباً من العنصرية بقدر ما هو رجوع إلى الذات والحفر في الذاكرة التاريخية¹، من هذا المنظور تمّ تصنيف هذه الرواية كأول عمل سردي يندرج ضمن جنس الرواية، أمّا في العصر الحديث في الجزائر، فهناك من يضع عمل روائي آخر أنتج عام 1847 يحمل عنوان: "حكاية العشاق في الحب والاشتياق" لصاحبه محمد بن براهيم أول الأعمال الروائية الجزائرية، حيث «اعتبره بعض النقاد الجزائريين أول نص

جزائري وعربي»²، في حين يرى فريق آخر من الدارسين أنّ أحمد رضا حوحو هو أوّل من كتب في هذا الفن في الجزائر، من خلال نصه "غاذة أم القرى"، ليليه بعد ذلك عبد المجيد الشافعي في روايته "الطالب المنكوب"، التي تعتبر رواية رومانسية، وهي تصوّر حياة طالب في تونس سقط في حب فتاة³، لكن هذه الحكاية أخذت عليه الكثير من المطبات والنقائص على مستويات عدة، فقد اعتبرها عبد الله الركيبي أنها تتميز بالسذاجة في المضمون وطريقة التعبير⁴.

وتبقى مسألة الريادة نسبية في الجزائر فيما يتعلق بنشأة الرواية، كجنس أدبي عايش الواقع الجزائري بمختلف تفاصيله الدقيقة، وقد سمت هذه المرحلة مجموعة من السمات والخصائص التي ميّزت النصوص الروائية المكتوبة باللغة العربية، فهي تحمل الكثير من البساطة في طرح قضاياها وموضوعاتها وأسلوبها هجين ولغتها تفتقد للفنية، والإحساس فيها سطحي، وحتى النصوص التي تلتها بقيت تحمل هذا الطابع الفني، مثل رواية: صوت الغرام" لمحمد منيع و"الحريق" لنورالدين بوجدر، ولكن لا يكمن أن نلوم هؤلاء الكتاب في تلك المرحلة التاريخية من نشأة الرواية الجزائرية، فاللغة العربية كانت مصادرة وممنوعة في الأوساط الثقافية الرسمية، لذلك كان من الطبيعي أن تكتب هذه النصوص السردية بهذا المستوى من الكتابة.

2- الرواية الجزائرية المعاصرة وتداخل الأجناس الأدبية:

تتداخل الرواية الجزائرية المعاصرة بشكل كبير مع مختلف الأجناس الأدبية، بحكم العلاقات الكثيرة التي تجمعها بها، فكانت الرواية بحق النمط السردى الذي يقتات من الأجناس الأدبية الأخرى، فهي تنهل من الشعر الفصيح والشعر الشعبي وتشغل على التاريخ والحكاية الشعبية والخرافة كما تسترجع الأسطورة والقصص الخيالية، إضافة إلى هذه الفنون نجدها تستعين كثيرا بتقنيات المسرح والسينما، كما تستفيد في أحيان كثيرة من فن السيرة الذاتية وكتابة المذكرات الشخصية «و قد تطورت هذه العلاقات وأصبحت ظواهر سردية لافئة بعدما تطور وعي الروائي العربي المعاصر بضرورة تلوين نصوصه بمناخات جديدة و دفعها نحو عوالم إبداعية أخرى لتدخل معها في حوارية فنية من شأنها أن تنتج نصّا حداثيا مختلفا يقطع اتصاله مع تلك الأجواء والمناخات التقليدية التي كرسها الرواية الكلاسيكية»⁵، و تتزاح عن الشكل الذي ألفناه من قبل وتبحر بنا في عوالم الرسم والموسيقى بحثا عن قوالب فنية يمكن أن تعين الروائي في إبراز القضايا التي يريد طرحها في

عمله الإبداعي، وتعتبر الرواية الجزائرية المعاصرة من بين تلك الروايات العربية الكثيرة التي نهلت من تلك الفنون وجعلت منها أدواتها السردية حيناً ومؤثثة لها عوالم متما في أحيان كثيرة ومن هذه الفنون نجد:

3-توظيف الشعر الشعبي في الرواية الجزائرية المعاصرة:

يعدّ هذا العنصر من أهم العناصر حضوراً في النص الروائي الجزائري المعاصر، حيث صار سمة بارزة فيه، وهناك عدّة أسباب ودواع فرضت نفسها على الروائي الجزائري لاستثمار الشعر الشعبي، منها الأسباب الواقعية المتعلقة بالواقع الجزائري وما شهده من أحداث خلّفت الدمار واليأس لدى الشعب الجزائري، سواء خلال فترة الاستعمار الفرنسي للجزائر أو خلال العشرية السوداء، وهناك دواعي وأسباب فنية تتعلق بالجنس الروائي نفسه، الذي يفرض على الكاتب اعتماد تقنيات جديدة في الكتابة وأدوات فنية تعينه على طرح القضايا المحورية للرواية. وإضافة إلى هذا نجد هناك دواعي ثقافية أخرى تتعلق بالارتباط بالأصول الثقافية والحضارية للبيئة العربية بدل التأثر بالرواية الغربية، فهناك العديد من البدائل السردية في التراث العربي يمكن الاعتماد عليها في بناء الفضاء التخيلي للرواية، والروائي الجزائري المعاصر أدرك بوعي عميق هذه الحقيقة، فقرر العودة إلى تراثه القديم وثقافته الشعبية التي ورثها من أجداده، ليحاول إحياء هذا التراث ويبعث فيه أرواحاً جديدة تعينه على قراءة الحاضر وتفكيكه وفهم المستقبل.

ومن بين الروائيين الذين وظفوا الشعر الشعبي في نصوصهم نجد: المرحوم الطاهر وطار في رواية "اللاز" وعبد الحميد بن هذوقة في "رواية الجازية وال دراويش"، وواسيني الأعرج في الكثير من رواياته كرواية "نوار اللوز" و"البيت الأندلسي" وعز الدين جلاوي في رواية "حوبه ورحلة البحث عن المهدي المنتظر".

4-رواية "حوبه ورحلة البحث عن المهدي المنتظر".وتوظيف الشعر الشعبي:

رواية حوبه ورحلة البحث عن المهدي المنتظر لعز الدين جلاوي تعيد المتلقي إلى زمن الثورة، وما شهدته من ممارسات غير إنسانية، ومشاهد عدوانية في حق الشعب الجزائري، ومختلف الانشقاقات والفتن التي حدثت بين عناصر وأفراد جيش التحرير الوطني، وأحزاب الحركة الوطنية إبّان الاستعمار، ثم تأتي بعدها فترة الاستقلال، التي شهدت بدورها استمرار عملية الإقصاء والتصفية في حق مجموعة من الأفراد، بحكم الخيانة والخروج على صف النضال، وهذه الأحداث والمشاهد السردية، فرضت على المبدع استثمار مختلف الأدوات التعبيرية،

التي تتيح له معايشة هذه الأحداث عن قرب، وبشيء من التفصيل، وذلك من خلال اعتماد مجموعة من التقنيات التي تساعد على طرح أهم القضايا التي يريد تبليغها للمتلقي، وهذا كان من خلال بعض المعطيات التاريخية، التي تحيل إلها مجموعة من الفقرات داخل الخطابات الروائية، التي تحمل بعض سمات الشخصيات المحورية، وتبرز معالم النزعة التاريخية، خصوصا في هذه الرواية بتلك الصراعات التي شهدتها الجزائر بمختلف أقطابها واتجاهاتها الإيديولوجية، السلفية منها والعلمانية، بين من اختار العمل السياسي، وبين من كان يحب العمل العسكري، وقد حدّد الكاتب مكان الأحداث وهو منطقة سطيف وزمانها الذي هو زمن الاستعمار الفرنسي في الجزائر قبل اندلاع ثورة نوفمبر عام 1954، لكنه تجاوز المؤرخ عبر زمن جديد وضمن معطيات تاريخية مختلفة تصنع واقعا جديدا.

تسرد هذه الرواية واقعا تاريخيا مفككا ومشوّها، يتجاوز ما هو مكتوب في الذاكرة التاريخية الرسمية، من خلال مجموعة من الشخصيات المتخيلة، ولا تكتفي الرواية بإمكانة حقيقية كمدينة سطيف التي احتضنت أغلب الأحداث، بل تعتمد أمكنة متخيلة ليس لها وجود في الواقع الفعلي، حيث تنصهر مع بعضها البعض لتصنع جمالية الخطاب الروائي التاريخي، الذي يمتلك منظومته الخاصة في التعبير عن الواقع وصنع التاريخ الحقيقي، الذي عجزت عن صنعه الذاكرة التاريخية، وهذا عبر تمثيل سردي يستثمر وعيا جديدا في الكتابة الروائية التاريخية، يقوم على أساس الشك في كل الحقائق والمعطيات الجاهزة، وعدم قبول ما هو يقيني، وهذا «يمثل إسقاطا للخبرة البشرية على خط الزمن الطبيعي»⁽⁶⁾، لتسرد الرواية بدورها تاريخها الخاص بها، من منظور المبدع، الذي يعجن تلك الأحداث، ويتبلها ببعض التوابل الفنية، ويبثّ فيها من روحه الإبداعية ليصنع وليمة أدبية تغري المتلقي وتفتح شهيته القرائية في ممارسة مختلف التأويلات.

وقد وظف الكاتب مجموعة من الأجناس الأدبية ومن بينها الشعر الشعبي، وهذا في شكل بنيات نصية، خصوصا ما يخدم قضيته العامة المتعلقة بالثورة، لذلك نلمس في رواية حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر حضورا كبيرا للشعر الشعبي، واستنادا لهذه النظرة يتم استحضار سلسلة من البنيات النصية المستمدة من مصادر مختلفة في شكل متواليات تنحلّ داخل البنية الطارئة للنص لتساهم في تشييد معماريته، وقد تنوعت الأشعار الشعبية من حيث الموضوعات والأغراض، في هذه الرواية، كما هيمن هذا النوع من المناصات على النسيج العام للرواية، ويحتل مكانة عالية ضمن المتن الروائي، وتتقدم باعتبارها بنيات

نصية طارئة يستحضرها الروائي لإثراء فضاء الدلالة النصي. وتعلق عزالدين جلاوي بالشعر الشعبي كبير جدا، وهذا راجع أولا إلى البيئة التي نشأ فيها والتي تحتفي بهذا النوع من التراث والشعر، وكذلك إدراكا منه بأهمية هذا النوع من الشعر في فهم الواقع الراهن، محاولا إسقاطه عليه، وحظي الشعر الشعبي بحظ وافر داخل الرواية بحكم دورها الفاعل في إثراء النص دلاليًا، وإيماننا من المؤلف بواقعية الأحداث، لذلك راح يعتمد في تشكيل فضاء المتخيل داخل المتن الروائي، ومثال ذلك:

«سافرتعرف الناس، وكبير القوم طيعو

كبير الكرش والراس بنص فلس بيعو»⁽⁷⁾

هذا الشعر يحمل الكثير من الحكمة والخبرة في الحياة، فهو يدعو إلى الانفتاح على الآخر والسفر، وتجنب بعض النماذج البشرية، خصوصاً الطماعين وأصحاب المصالح الضيقة الذين ينبغي تجنبهم. وهم كثر في المجتمع الجزائري خلال ثورة التحرير، وهذه القضية استطاع الكاتب أن يختصرها للمتلفي من خلال استدعاء هذا النمط من الشعر. وفي مقطع آخر يحضر هذا الشعر من خلال قول الرواي:

«باليل خبّرتني بالله ما قواني

كيف خلّيت أهلي وجبراني؟

قلبي الحزين يبكي ما هنّاني

ما حمل غربتي ما حمل اهواني

راني غريب زادت احزاني

تكسّروا كرعي وزادو جناحاني

ياريتني قمري نرفرف في لعالي

نطير من جبل لجبل العالي

نزور أهلي: اعمامي واخوالي

نزور والالدين وسيدعلي الغالي

ياربي لعزیز فرّج هّمي واهوالي

بجاه العدنان وسیدی الجیلالي⁽⁸⁾

يحمل هذا المقطع الشعري الكثير من مشاعر والحزن والأسى نتيجة المنفى وفقدان الأهل والأحباب، والابتعاد عن العائلة والأصدقاء، وهو يدعو الله سبحانه وتعالى أن يفرّج همّه ويخرجه من هذه الحالة النفسية القاسية، ليبقى ينتظر بزوغ فجر جديد يمنحه الفرحه والسعادة ويحقق له مراده والكاتب يلجأ إلى توظيف الشعر الشعبي، ليخرج بالقارئ من كثافة المتخيل وعنفه من جهة، ويوهمه بواقعية الأحداث من جهة أخرى، ويثبت الحدث الثوري في أذهان المتلقين.

ويبدو النص الروائي مشغولاً بالشعر الشعبي الذي يحمل الكثير من الحكمة والأمثال، وفي هذا الصدد يقول:

ما زين النسا بالضحكات، لو كان فيها يدومو

الحوث يعوم في الماء، وهما بلا ما يعوموا

سوق النسا سوق مطيار، ويا دخلورّد بالك

يوربولك م الريح قنطار، ويدولك راس مالك⁽⁹⁾

فهذا المقطع يضمّر الكثير من المعاني والدلالات التي تظهر بعض الطبائع والعادات السيئة في الإنسان، المتعلقة بالنميمة والغيبة ونقل الأخبار، حيث ارتبطت بالنساء أكثر وأصبح يمارسها الرجال كذلك، خصوصاً في زمن الثورة الذي كثر فيه الجواسيس الذين ينقلون الأخبار.

وفي سياق آخر تحضر هذه النصوص الشعرية كمتفاعلات نصية. فتخرج المتلقي من روتين الحدث الرئيسي لتدخل عوالم أخرى، كالغزل والحب، فتزداد كثافة المتخيل عن الواقع من خلال أسطرة الشخصيات فيقول الروائي:

«يا ناس خافوا ربي ولا تلوموني

في حي للرومية واعذروني هادي حورية هبطت م الجنة؟

والا م الملايكة فهموني؟

«⁽¹⁰⁾ هذا المقطع الشعري يدخل المتلقي في فضاء عجائبي وغرائبي، ليبعده لبرهة من الزمن من ضحالة السرد المنتابح ويكسر أفق توقعه فيسهم في بناء الفضاء الدلالي للنص الروائي.

وقد اندمجت هذه البنيات النصية داخل النسيج الروائي لتصور لنا حجم المعاناة والألم الذي تعيشه شخصيات الرواية، فتساهم في بناء المعمار الدلالي للنص.

ويستمر الكاتب مع الغزل، فيصف حبيبته وصفا جسديا. وهو الميمن بحبها حيث يقول:

«وريدة شمس لحنينه طلّتها تنجّي لغبينه

عينها قمره ضواية في قلبي جمره كوّه

علال يستنى فيك يسعدك في الدنيا ويمنّيك¹¹

فالكاتب من خلال توظيف هذه المقاطع الغزلية يحاول الخروج بالقارئ من رتابة التاريخ وعنف خطابه، إلى رحابة المتخيل بعجائبيته وغرائبته، التي تمنحه احتمالات قرائية جديدة وتحقق له متعة القراءة ولذة التأويل.

لكن سرعان ما يعود بالمتلقي مرة أخرى إلى الموضوع الرئيسي وهو الثورة، فيحرّض الشعب على ممارسة الثورة من أجل تحقيق الاستقلال والتخلّص من المستعمر الغاشم والدعوة إلى تغيير الأوضاع السائدة نحو الأحسن فيقول:

«يا شعبي الغالي ثور

حرام تبقى مقهور

عداك مصّوا دمك

وانت راقد مخمور

حلّ عينك لا تبّع عباس

تضيع حياتك لا تولّي بور

فرنسا غدارة ما فيها امان

والي يامن افعى مسحور

والعزة طريقها واحد

النار والبارود والدم يفور»⁽¹²⁾

«يا خاوتي ليل الحقرة طال والظلم طغى وتجبر

وسيف الحق ضعف ومال وسيف الباطل تاه وتعتر

وطنا في محايين واهوال وكسروا كبير ما يتجبر

تلايمت عليه عفرت وغوال وذبابه متوحشه تاكل وتنتر»⁽¹³⁾

فقد نفذ صبر الشعب الجزائري وأيقن أنّ المستعمر الفرنسي لا تنفع معه أية وسيلة سلمية ماعدا لغة الرصاص التي يفهمها، فما أخذ بالقوة يسترجع بالقوة، وقد انصهر هذا النص مع الجو العام للرواية، ليصور حجم المعاناة والدمار الذي يعيشه الشعب الجزائري تحت وطأة الاستعمار الفرنسي.

وهو هنا يحاول نشر الوعي الثوري لدى الشعب الجزائري في تلك المرحلة كمثقف ملتزم بالقضية الرئيسية للشعب الجزائري، فيقول:

ما تعمي غير عينك وتملاهم اضرار
واتضحك الخلق عليك ليل ونهار
خيطة الدخان ما تحسبلو حساب
وما تعول عليه اخرجلك من زرداب
اهبّ الريح يدّيه واخليك في لعذاب
فيق يا غافل لا تامن الحنش الغدار
يخدعك بجلدو الناعم ويدّيك للدمار
اتضبيّ خيرك وتحصد لشرار «⁽¹⁴⁾

فهو من خلال هذه الأبيات الشعرية يحاول شحن الهمم وإيقاظ الشعب من سباته ليدخل في مضمار الثورة ويعيش هذا الحدث التاريخي الذي يخلّصه من المستعمر الفرنسي ويمنحه حرية وطنه.

وقد هيمن الحدث الثوري على المتن الروائي بحكم معطيات عديدة، فالكاتب تعمّد ذلك ليعبر تاريخ هذا المكان وبطولته في مقاومة الاستعمار الفرنسي، ويجعل منه شاهداً على مختلف الجرائم التي ارتكبت في حق الأبرياء وما شهدته الثورة من مشاكل وصراعات داخلية بين أطرافها في الجزائر.

إنّ العودة إلى تاريخ الثورة التحريرية وفترة الاستعمار الفرنسي بالجزائر أمر طبيعي، فنادر ما تفتقد الأعمال الروائية الجزائرية للحدث الثوري، خصوصاً في المرحلة الأولى كما رأينا من قبل لذلك كان له حضور مكثف في المتون الروائية الجزائرية.

ورواية عز الدين جلاوي هاته لا تخلو بدورها من هذا الحدث المحوري والهام من تاريخ الجزائر لكن طريقة استثمار هذا الحدث تختلف عن المتون الروائية الأولى، التي قدّسته ومجّده وجعلت منه الحدث المكتمل الذي لا يمكن المساس فيه، حيث أدخلته إلى طاولة

المحاكمة والتمحيص، ليعاد فهمه وتفسيره، وتوضيح الرؤية للأجيال الصاعدة حول حقيقة هذا الحدث والرجال الفاعلين فيه.

فالكاكتب حاول أن يفكّك هذا الحدث بوعي تاريخي، ليحدد «طبيعة الأفكار والتوجهات الإيديولوجية المتصادمة، واختلاف بنياتها وطموحاتها وخلفياتها»⁽¹⁵⁾، وليكشف دوره كمرجع في التأثير على الحاضر، من خلال مزجه بالمتخيل ليعبّر عن هموم وتطلعات الشعب الجزائري ويقدم نقدا لاذعا لكل الفاعلين والمتسببين في أزمة هذا الوطن.

والأكيد لما يكون هناك وعي تاريخي ممزوج بوعي فني داخل النص الروائي الذي يستثمر الذاكرة التاريخية، سوف يتشكل نص ثوري بامتياز، نص يعيد بناء الحدث التاريخي من منظور فني يخص المبدع نفسه، ليحاول الحفر في هذا المشهد التاريخي، والكشف عن مختلف الهئات التي سقط فيها الذين كانوا يمثلون هذه الثورة، واستغلوا هذا الحدث لتحقيق مصالحهم الخاصة، وفي نفس الوقت مقارنة هذا الزمن براهن الأحداث التي يعرفها المكان.

وقد تنوّع الشعر الشعبي في هذه الرواية من حيث الأغراض والمضامين، كما انصهر مع الجو العام للرواية، ليسهم في تشكيل معمارية النص الروائي، و تفجير الفضاء الدلالي له، ليكشف لنا عن الأشياء المسكوت عنها، و التي يريد الكاتب إبرازها، و هذا من أجل إخراج شكل فني جديد يختلف عما هو متداول على مستوى الساحة الأدبية، هذا الشكل يتداخل فيه العديد من صيغ التعبير السردية و الشعرية، و هذا ما يعرف بتداخل الأجناس الأدبية، لذلك يتداخل الشعر الشعبي مع الرواية و الخرافة و المذكرة و السيرة الذاتية و غيرها من أشكال التعبير، فتحضر هذه المناصات كنصوص مجاورة للنص الأصلي لتحقيق تفاعلا إيجابيا معه و تؤدي وظائف جمالية معينة. وقد أسهمت هذه النصوص في إحداث خلخلة على مستوى البناء العام للرواية، وانفتحت بالقارئ على فضاءات واسعة رحبة، فاتحة ذهنه على جوانب خفية ومضمرة داخل خطاب الثورة.

إن توظيف هذه الأشعار جاء ليخدم الدلالة العامة للنص ويكشف عما يختلج في باطن الشخصيات، وما تعانیه من آلام وأحلام وهواجس نفسية. ومن خلال كل النصوص السابقة يظهر لنا هذا النص الروائي كنص منفتح على أجناس أدبية عديدة، وهذا الانفتاح على الأجناس قدم لنا صورة روائية جديدة تملك من المؤهلات الفنية والجمالية ما يجعلها تتبوأ مكانة راقية في الساحة الأدبية المعاصرة.

خاتمة:

في ختام هذه الدراسة المتعلقة بحضور الشعر الشعبي في رواية حوبه ورحلة البحث عن المهدي المنتظر لعز الدين جلاوي أمكننا الخروج بمجموعة من النتائج منها:

*- يمكن القول إنّ الشعر الشعبي كان له حضور قوي في المتن الروائي الجزائري المعاصر، فكانت الحاجة ملحة من قبل الروائي الجزائري لتطوير تقنيات الكتابة الرواية، وهذا الهاجس جعله يرجع إلى مجموعة من الأجناس الأخرى ليؤثث بها مخياله وفضاءه الروائي من الداخل، خصوصاً لما يتعلق الأمر بالروايات التي تشغل على الواقع والتاريخ كرواية حوبه ورحلة البحث عن المهدي المنتظر لعز الدين جلاوي التي توظف الشعر الشعبي.

*- الكثير من الروائيين الجزائريين مارسوا التجريب من خلال الاستعانة بمختلف الأجناس الأدبية الأخرى كالشعر الشعبي والحكاية والقصة والمسرح، لأنها أكثر قدرة على التعبير عما يختلج في نفسية المبدع من هموم وأزمات نفسية واجتماعية وتاريخية، فكان هذا من البواعث الرئيسية لتوظيف هذه الأجناس داخل النصوص الروائية الجزائرية المعاصرة ومنها نصوص الكاتب عز الدين جلاوي ونصه الروائي هذا خصوصاً.

*- توظيف الشعر الشعبي في رواية حوبه ورحلة البحث عن المهدي المنتظر للروائي الجزائري عز الدين جلاوي مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالتاريخ الجزائري وفترة الاستعمار الفرنسي خصوصاً، وهذا من أجل بناء متخيل روائي يستثمر الذاكرة التاريخية التي تعمل على تسجيل الأحداث التاريخية من وجهة نظر الروائي ذاته، وكما هو مسجل في الذاكرة التاريخية للشعب الجزائري، وضمن منطقة الشرق الجزائري وسطيف على وجه التحديد.

*- رواية حوبه ورحلة البحث عن المهدي للروائي الجزائري عز الدين جلاوي استثمرت الشعر الشعبي ووجدت فيه مادة أساسية تشكل من خلالها الفضاء الروائي وتصور الأوضاع الاجتماعية والتاريخية كما هي، حيث يتوغل الروائي إلى عمق تلك الأحداث للكشف عما هو مضمّر في الذاكرة التسجيلية.

*- الهوامش والإحالات:

¹ آمنة بلعلي: المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف، دار الأمل للطباعة والنشر، تيزي وزو، الجزائر، ط1، 2006، ص37.

- ² غنية كبير: الرواية الجزائرية في النقد الأدبي، منشورات الوطن اليوم، سطيف، الجزائر، ط1، 2015، ص 85.
- ³ واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 123.
- ⁴ عبد الله الركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث، (1830-1974)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص 200.
- ⁵ كمال الرياحي: فن الرواية ورواية الفن (الموسيقى والغناء في دروب الفرار) لبنت البحر، مجلة عمان، ع127، 2004، ص 36.
- ⁶ عليا محمود صالح: البناء السرد في روايات إلياس خوري، دار أزمنا للنشر، عمان، الأردن، ط1، 2005، ص 19.
- ⁷ عز الدين جلاوي: حوبه ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، دار الروائع للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2011، ص 159.
- ⁸ الرواية: ص 159-160.
- ⁹ الرواية: ص 243.
- ¹⁰ الرواية: ص 250.
- ¹¹ الرواية: ص 280.
- ¹² الرواية: ص 517-518.
- ¹³ الرواية: ص 527.
- ¹⁴ الرواية: ص 534.
- ¹⁵ إبراهيم عباس: البنية السردية في الرواية المغاربية، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ط)، 2002، ص 115.

*-قائمة المصادر والمراجع:

- 1- إبراهيم عباس: البنية السردية في الرواية المغاربية، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ط)، 2002.
- 2- آمنة بلعل: المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف، دار الأمل للطباعة والنشر، تيزي وزو، الجزائر، ط1، 2006.
- 3- عبد الله الركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث (1830-1974)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.

- 4- عز الدين جلاوي: حوبه ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، دار الروائع للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2011.
- 5- عاليّا محمود صالح: البناء السردى فى روايات إلباس خورى، دار أزمنا للنشر، عمان، الأردن، ط1، 2005.
- 6- غنية كبرى: الرواية الجزائرية فى النقد الأدبى، منشورات الوطن اليوم، سطيف، الجزائر، ط1، 2015.
- 7- كمال الرىاحى: فن الرواية ورواية الفن (الموسيقى والغناء فى دروب الفرار) لبنت البحر، مجلة عمان، ع127، 2004.
- 8- واسينى الأعرج: اتجاهات الرواية العربية فى الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.